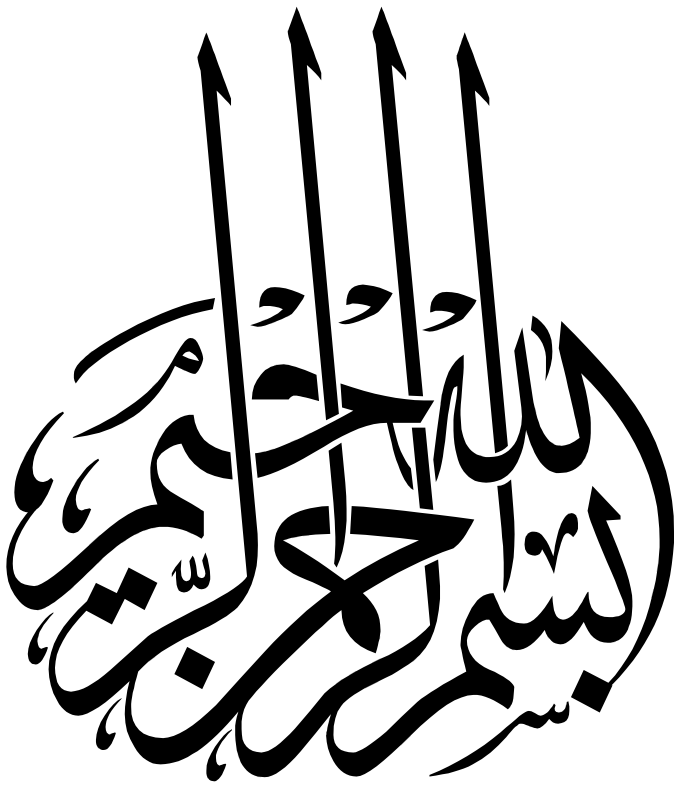
بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب إقبال الروم في كثرة القتل

عند خروج الدجال

بسم الله الرحمن الرحيم

((بَابٌ: إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلاَّ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتِ السَّاعَةُ! قَالَ: فَقَعَدَ -وَكَانَ مُتَّكِئًا-، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا -وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ-، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ؛ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبَرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إِمَّا قَالَ: لاَ يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا-، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلاَّ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ؛ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ؛ فَيَرْفِضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً. قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»، أَوْ «مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ فَهَبَّتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ.

وَعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَالْبَيْتُ مَلآنُ، قَالَ: فَهَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُلَيَّةَ)).

هذا الحديث أيها الإخوة، تقدّم معنا مضمونه، وبيّنَّا أنه في الملحمة التي تقع بين المسلمين والروم.

قال يسير بن جابر: ((هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ))، والريح الحمراء من علامات قيام الساعة، وقد جاء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تقوم الساعة حتى تُبعَث ريحٌ حمراء مِن قِبَل اليمن؛ فَيَكْفِتُ الله بها كلَّ نفسٍ تؤمن بالله واليوم الآخر» رواه ابن حبان وصححه الألباني. أبو هريرة ﷺ يحكي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تُبعَث ريحٌ حمراء»، من أين؟ «من قِبَل اليمن»، هذه الريح تأخذ روح كلَّ مؤمن فلا يبقى بعدها إلا كافر -وسنتكلم عنها إن شاء الله قريبًا-، لكن الشاهد من الرواية هنا هو وصْفها بأنها: ريحٌ حمراء، والقوم كانوا يعلمون أنّ الريح الحمراء من علامات قيام الساعة، فلمّا رآها رجل جاء إلى ابن مسعود ﷺ، وليس له هِجِّيرى؛ أي ليس له ديدن ودأَب وشيئًا يعود إليه إلا أن يقول: يا ابن مسعود جاءت الساعة، يا ابن مسعود جاءت الساعة! يعني يكرِّر، هذا معنى "وليس له إلا هِجِّيرى"؛ يعني أنه يكرر هذا الأمر؛ من خوفه، لمَّا رأى العلامة.

قال: ((فَقَعَدَ)) مَن الذي قعد؟ ابن مسعود، ليس الرجل، وإنما ابن مسعود، كان متكئًا فلمّا سمع هذا الكلام العظيم من هذا الرجل وهو يردده ويعاوده: جاءت الساعة، جاءت الساعة، جاءت الساعة، قعد ﷺ، وكان متكئًا، فقال: إنّ الأمر ليس كما تظن، ولذلك قال له: ((إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ))؛ إذن هذه ليست هي الريح، لأنّ هذا الأمر لم يقع؛ أنه لا يُقسم الميراث ولا يُفرح بالغنيمة.

((ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا -وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ-)) أي أشار إلى جهة الشام، أي أنّ هذا الأمر يقع في جهة الشام، وهو -كما قلنا بالأمس- يقع قريبًا من حلب عند الملحمة الكبرى.

فقال: ((عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلاَمِ)) وذلك أنّ الروم -كما تقدّم معنا- يصالحون المسلمين فيقاتلون عدُوًّا -أعني المسلمين والروم يقاتِلون عدُوًّا- فينتصرون عليه، فيقول روميٌّ: انتصَر الصليب، ويقول مسلم: نصَرَنا الله، ثم يغدر الروم بالمسلمين ويَنقضون الصُّلح، وهذه من عاداتهم؛ لكنّ هذا لا يَمنع الصلح إذا قام سببه الشرعيُّ وأفتى ولاة الأمر من العلماء بجوازه، واختاره أولياء الأمر من الحكام؛ فإنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر عن الصُّلح مع الروم وأنهم ينقضون، ولم ينه عن هذا الصلح.

فيجمعون لأهل الإسلام وينطلقون بجيشٍ عظيم تحت اثني عشرة راية، اثنتا عشرة راية يرفعها هؤلاء القوم، تحت كل راية ثمانون ألفا، فيسمع أهل الإسلام بهم فيجمعون لهم، ويخرج لهم جيش من المدينة، والإيمان إذ ذاك يأرِز إلى المدينة، وهم من خيار أهل الأرض، فتقع الملحمة.

قال: ((قُلْتُ الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ)) ما معنى قوله تكون ردَّة شديدة؟ أي عَطْفةٌ شديدة بين القوم في القتال، فيقع القتال والقتل في الجانبين، فرَدَّة: يعني عَطْفة، فيعطف هؤلاء القوم على المسلمين فيُقَتَّل من المسلمين، ويَعطف المسلمون عليهم -أي يكرّ المسلمون عليهم- ويُقتِّلون من الروم.

((فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ)) ما هي الشُّرطة؟ قالوا: الشرطة؛ هي الكتيبة التي تشهد المعركة، سُمُّوا "شُرطة" لأنهم يتقدّمون على الجيش، يعني أول كتيبة من الجيش؛ فهم يُعِدُّون أنفسهم للموت، والشرطة هي إعداد الإنسان نفسه للموت، ومنه سُمِّيت الشرطة اليوم شرطة؛ أنّ رَجل الشرطة يُعِدُّ نفسه للموت في حماية الآمنين؛ لأنه يتعرّض للمجرمين. وقيل: إنّ الشرطة هي العلامة، ومنه سميت الشّرطة "شُرطة"؛ لأنهم يضعون علامةً تميّزهم عن غيرهم.

فالشرطة: هم الكتيبة التي تشهد المعركة، و قيل: هم أول طائفة يشهدون المعركة.

والمقصود أيها الإخوة؛ أنهم قومٌ يُعدُّون أنفسهم للموت في سبيل الله، فيشترطون على أنفسهم شرطًا؛ هو الموت -شهادةً- أو الغَلَبة، فيقاتلون كما قالوا صادقين، فتُقتل هذه الكتيبة جميعا، قال ﷺ: ((فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ)) أي يرجع هؤلاء وهؤلاء ((كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ))، لكنّ الشّرطة قد فَنَتْ، قُتِلت، فتَشترط شُرطة جديدة من المسلمين، على نفس الشَّرط السابق: الغلبة أو الموت، ((فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ)) أي يرجع، كلٌّ إلى معسكره، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، لكن الشرطة تَفنى وتُقتل في سبيل الله، فتقوم شرطة ثالثة يشترطون هذا الشرط ويقتتل القوم في اليوم الثالث قتالًا عظيمًا حتى يحجُز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، لكنّ الشرطة تفنى، وهؤلاء شهداء، وهم من خير الشهداء، كما تقدم معنا في الحديث بالأمس.

في اليوم الرابع: ينهض بقية أهل الإسلام، والظاهر -والله أعلم- أنّ الجميع يَعزِمون على ما كانت تعزم عليه الشرطة؛ وهي الموت أو الغلبة، بقلب رجلٍ واحد، فينصرهم الله، وينكسر الروم.

قال ﷺ: ((فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبَرَةَ عَلَيْهِمْ))؛ الدَّبَرة في اللغة: يعني الهزيمة، فيجعل الله الهزيمة على الروم؛ فيُدبِرون. وجاء في رواية: "فيجعل الله الدائرة عليهم"، أي تدور عليهم المعركة، وينتصر المسلمون.

قال: ((فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً لاَ يُرَى مِثْلُهَا، أو لَمْ يُرَ مِثْلُهَا)) يعني مقتلة شديدة لم تسبق، ويكثر القتل، وتكثر جِيَف الكفار، حتى أنّ الطائر يطير في السماء فإذا مرّ بهم سقط ميّتًا من شدة نتنهم ومن كثرة القتل فيهم، فهذا معنى قوله ﷺ: ((حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا)).

((فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ))؛ أي مِن الروم، ((كَانُوا مِائَةً))، قال بعض أهل العلم:

♦ لا يلزم أن يكون الأبُ الأبَ المباشر؛ فقد يكون الجَد، وقد يكون جد الجد، لأنّ الجد أب، فقد يكون المراد: فيتعادّ أبناء القبيلة، كانوا مائة فلا يبقى منهم إلا واحد.

♦ وقد يكون المراد: الأب المباشر، لأنّ الروم يكثرون إذ ذاك، فقد يكون للرجل الواحد مئة من الولد، فيتعاد المئة، فلا يبقى منهم إلا رجل واحد.

فإذ ذاك يغنمون غنيمة عظيمةً، متى يا إخوة؟ عندما يذهبون إلى القسطنطينية، لأنهم بعد هذه المعركة يتْبعون الروم إلى قسطنطينية ويحصل الفتح، ويغنمون مغانم كثيرة.

قال: ((فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟)) هنا تلحظون أنه لم يُذكَر السبب في هذا، السبب -كما قلنا بالأمس-: أنهم إذا وصلوا القسطنطينية وغنموا وبدؤوا يتقاسمون الغنائم وهي غنائم عظيمة جدا، يصرخ فيهم الشيطان: أنّ الدجال قد خرج من ورائكم، فيعلمون أنّ الساعة اقتربت؛ فماذا يريدون من الدنيا إذ ذاك؟! ماذا يريدون من الدنيا وقد ظهرت العلامات الكبرى؟! فإذ ذاك لا يُقاسَم ميراث، لا أحد يريد المال، ولا يُفرَح بغنيمة.

وهذا -يا إخوة- وإن كان في آخر الزمان إلا أنه يدلُّنا على حقارة الدنيا وأنه لا ينبغي للمسلم أن يعلّق نفسه بها، لأنّ ساعة كل واحدٍ منا قريبة، وأعمار أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ما بين السّتين إلى السبعين، وقلَّ منهم مَن يجوز ذلك، ونحن قد اقتربنا، والله أعلم متى يكن الأجل، قد لا يقوم الواحد منا من مقامه، قد لا يكمل كلمته، قد لا يتم ليلته! كم من رجلٍ نام يظن أنه يستيقظ فما استيقظ من منامه! وكم مِن طفلٍ رُجيت حياته فمات قبل تمامه!

ولذلك؛ جاء عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ أنه نظر إلى جلسائه يومًا فقال: "يا معشر الشيوخ، ما يُنتَظَر مِن الزرع إذ ابيَضَّ؟ قالوا: الحصاد، ثم نظر إلى الشباب فقال: يا معشر الشباب، إنّ الزرع قد تُدْركه آفةٌ قبل أن يُستحصَد".

وَكَمْ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى طُولُ عمْرهم ... وَقَدْ أُدخِلتْ أَجْسَادُهُمْ ظُلْمَةَ القَبرِ
وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

فنحن -والله، يا إخوة- ساعتنا قريبة، وقد تكون أقرب مما نظن، فلا ينبغي علينا أن نعلّق قلوبنا بالدنيا، وإنما نجعل تعلّقنا بالآخرة، نعم لا نهجر الدنيا ولم نؤمَر بهجران الدنيا؛ لكنّا لا نتعلق بها حتى تفتننا عن ديننا، بل نجعل الآخرة مقدَّمةً على كل حال، ونسعى جاهدين إلى أن نفوز بفضل الله بكثرة الطاعات، فإنه لن يدخل أحدٌ منا الجنة بعمله، حتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا بفضل الله -سبحانه وتعالى-، والأعمال الصالحة سببُ نيلِ فضل الله -سبحانه وتعالى-، وما من ميتٍ يموت إلا ويندم؛ ولابد، إن كان محسنًا ندم ألا يكون قد ازداد، وإن كان مُسيئًا ندم ألا يكون قد استعتَب.

فالذي ينبغي علينا أن نتنبَّه إلى أنفسنا وأن نرجع إلى ربِّنا، الشيطان يحفر لنا، وأعداؤنا من الجن والإنس يحفرون لنا، يَنصبون لنا الحبائل، يريدون أن نكون من أهل النار، فعلينا أن نتنبه لهذا الأمر الخطير، ونستعيذ بالله من شرور هؤلاء جميعًا، ونلزم الطاعةَ ما استطعنا، فإنّ الأمر جدُّ قريب، والعاقبة إنّما هي لأهل التقوى.

فهنا أيها الإخوة؛ نرى المسلمين وقد غنموا الذهب الكثير؛ لكنهم لمّا سمعوا بخروج الدجال عافوا كلَّ ذلك، ولو تيقّنا الموت حق اليقين وآمنا بقربه منا إيمانًا صادقًا لَمَا قدَّمنا الدنيا على الآخرة أبدًا؛ بل لَعَاف الواحد منا الدنيا بجانب الآخرة.

قال ابن مسعود ﷺ: ((فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)) أي بأمرٍ هو أكبر من ذلك، ((فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ))؛ أي الصارخ، وقد فُسِّر هذا في الحديث السابق؛ بأنه الشيطان، يصرخ فيهم بالباطل.

وبالمناسبة يا إخوة؛ الشيطان قد يأتي المسلم بصورة ناصح يريد أن يوقعه فيما يُسخط الله، هذا الشيطان جاء للمسلمين يحذِّرهم الدجال أنه خرج خلفهم في ذراريهم؛ بالباطل، وكذلك نحن؛ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولا تحسبنَّ الشيطان يأتي للإنسان ليقوده إلى المعصية مباشرة دائمًا؛ بل هو كما قال ابن القيم رحمه الله: يشام قلب العبد، ينظر في قلب العبد فما يرى أنه أسرع لفتنته أخذ به، فإن رأى من الرجل حب المعاصي دعاه إلى المعاصي مباشرة، إن

رأى منه حب الزنا -والعياذ بالله- دعاه إلى الزنا، إن رأى منه حب الغيبة دعاه للغيبة، إن رأى منه حب الكذب دعاه للكذب، وإن لم يرَ منه حب المعاصي احتال عليه وجاءه بصورة ناصح، فقد يأمر إبليس الإنسان بقيام الليل، وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة، لكن إبليس لا يريد من المسلم أن يقوم الليل لينال الفضيلة، وإنما إذا علم منه أنه إذا قام الليل نام عن الصلاة المفروضة؛ فيدعوه إلى قيام الليل من أجل أن يفوّت عليه صلاة الفجر؛ وإذا فاتت الفريضة وقع في أمرٍ عظيم. فالشيطان قد يأتي إلى الإنسان بصورة ناصح، قد يأتي للإنسان فيقول: انتبه، أنت الآن تتوضأ والوضوء مفتاح الصلاة ومن لم يصح وضوؤه لم تصح صلاته؛ فزِد في الوضوء، فيزيد، فيقع في الاعتداء؛ لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «هذا الوضوء، فمن زاد فقد أساء واعتدى وظلم» -أمّا رواية «من نقص» فهي شاذة-، ثم يقوده للوسواس، فإذا خرج من الحمام -أعزكم الله- قال له: انتبه بقي شيء من البول والمسألة مسألة صلاة؛ ارجع، فإذا رجع وقضى ما قضى وخرج؛ قال له: لا حولا ولا قوة إلا بالله، كيف تفرِّط في الطهارة؟! ارجع؛ وينصحه؛ وهو يريد أن يفوّت عليه الجماعة -مثلا-، أو يريد أن يفوّت عليه الوقت، أو يريد أن يثقّل عليه الطاعة. ولذلك يا إخوة؛ من كثر شكه في الوضوء فلْيعلم أنها من مكائد الشيطان وليست من احتياط أهل الإيمان، ولْيستعذ بالله من الشيطان، ولْينتهِ، فإذا غسل عضو الوضوء ثلاثًا فليكتفِ، وإذا استنجى كما يستنجي الناس فلْيأخذ ماءً ولْيضعه في لباسه، وليخرج ولينتهِ، ولا يتفقّد ولا يفتش؛ فإنّ ذلك من مكائد الشيطان.

الشاهد؛ أنّ الشيطان يصرخ في هؤلاء -أهل الفضل-: أنّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيتركون الغنائم ويرجعون، قال: ((فَيَرْفِضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ)) إلى الشام، قال: ((فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً)) أي مُقدِّمة، ((قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)) ما فائدة هذه الجملة هنا؟ هي تدل على أنَّ هذا مرفوع من كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أوّل الكلام ذكر هذا من غير أن يُسنِده إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن يُعلَم أنه مرفوع؛ لأنّ مثل هذا الكلام لا يقال إلا عن توقيف، لكن جاءت هذه الجملة مبيِّنة؛ قال: ((قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ»؛ وهذه الجملة تدل على أنّ القتال سيرجع إلى أن يكون على الخيول، والخيول معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.

ويُفهم من الحديث -أيضا-: أنّ هذه الآلات التي نعيشها ونراها هذا الزمان ستزول، ويعود الأمر إلى ما كان، بدون هذه الآلات؛ من هواتف وسيارات ودبابات وغير ذلك، لأنهم عندما بلغهم الخبر ماذا فعلوا؟ رجعوا وأرسلوا طليعة؛ معنى هذا أنه ليس معهم ما يعرفون معه الخبر، وهم على خيولهم؛ معنى هذا أنه ليس معهم هذه الآلات، وهذا أمر ظاهر، فالقتال سيعود على الخيول، ويعود بالسيوف، ويعود بالسهام، ويعود بالرماح، وتزول هذه الآلات.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب ما يكون من فتوحات المسلمين

قبل الدجال

بسم الله الرحمن الرحيم

((بابٌ: مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَّالِ

عَنْ نَافِعِ بْنِ عتْبَة قَالَ: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؛ لاَ يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ. فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي؛ قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ». قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لاَ نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ")).

هذا الحديث أورده الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ ليبيّن أنّ هذه الملحمة مع الروم إنما تكون قبل خروج الدجال، لأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- رتّب ذلك.

نافع بن عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحكي أنهم كانوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة، فأتى قوم من قِبَل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أَكَمة؛ أي عند مكانٍ مرتفع، ((فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؛ لاَ يَغْتَالُونَهُ)) أي لا يقتلونه غِيلة؛ أي في غفلة منه، النبي -صلى الله عليه وسلم- قاعد وهم قيام، وهو لا يعرف القوم، فخاف على النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال: ((لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ)) أي لعله يناجيهم ويحدّثهم، قال: ((فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ»)) وقد فتح الله جزيرة العرب، «ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ» وقد فتح الله فارس،«ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ»، قال بعض العلماء: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ» ولم يقل: ثم تغزون فارس؛ قالوا: للدلالة على قرب فتح فارس من فتح

جزيرة العرب، وكان الأمر كذلك، فإنّ فارس فُتحت قريبًا من فتح جزيرة العرب، ثم قال: «ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ»، والروم المقصود بها: دار عاصمة الروم؛ قسطنطينية، فيفتحها الله. وقلنا أنها تفتح للمسلمين مرتين، مرة قد وقعت على يد السلطان محمد الثاني ابن مراد الثاني؛ محمد خان، ولكنها ستعود إلى أيدي الروم. وتُفتح مرة أخرى؛ وذلك قبل خروج الدجال، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ» أي يُقتل -وهذا كما ذكرنا بالأمس-، متى؟ بعد رجوعهم من القسطنطينية، إذا وصلوا إلى الشام، وكان الشيطان قد كذب عليهم وقال: إنّ الدجال قد خرج؛ وهو كاذب، إذا بلغوا الشام خرج الدجال، فيستعدُّون لقتاله -كما قلنا بالأمس- ويُصلُّون جماعة، فبينما هم قد أقاموا الصلاة وصفُّوا الصفوف نزل عيسى عليه السلام فقال إمام المسلمين إذ ذاك؛ وهو المهديُّ: محمد بن عبد الله القرشي -سنتكلم عنه قريبا إن شاء الله، إن كتب الله لنا وقتا، وإلا نتكلم عنه في العام القادم إن كتب الله لنا جلوسا وعمْرا-، يقول لعيسى عليه السلام: تقدم يا روح الله فصلِّ لنا، فيقول: بل تقدم أنت، أئمتكم منكم؛ تَكرُمةً لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم يخرجون إلى الدجال وهو متجه إلى بيت المقدس، فيلحقه المسلمون عند باب لُدّ، وهو -كما قلنا- قريب من بيت المقدس، فإذا رأى الدجال، الذي كان يتعاظم على الناس ويريهم العجائب، إذا رأى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الملح في الماء، لكنّ عيسى عليه السلام يتداركه فيضربه برُمْحه؛ لأنّ له فيه ضربةً لن تخطئه، وبهذا يُقتل الدجال، وهذا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ».

وكما تلحظون في هذا الحديث معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث أخبر بأمورٍ ستقع، وقد وقعت، وأخبر بأمورٍ ستقع، وستقع إن شاء الله؛ أخبر بفتح جزيرة العرب وقد فُتحت، أخبر بفتح فارس وقد فُتحت، وأخبر بفتح الروم وستُفتح، وأخبر بقتل الدجال وسيُقتَل.